

سلطة (المعلومة التاريخية) إبان الثورة الجزائرية
قراءة في مقطع من الخطاب (الإعلامي - التاريخي - السياسي)
جريدة الشروق (مارس 2014م) نموذجاً

الدكتور لخضر قريش
أستاذ محاضر بالمدرسة الوطنية
العليا للصحافة وعلوم الإعلام - الجزائر -

الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائرية - الخطاب - المعلومات - التاريخ - الإعلام - السياسة -
المعلومة التاريخية.

Résumé :

L'étude traite d'un thème important, celui de l'analyse du discours médiatique.

Nous avons choisi un corpus bien précis : Quotidien national d'information (ECHOROUK) du mois de mars 2014.

Pour voir à quel point il contribue à construire les connaissances historiques algériennes.

Nous avons suivi une méthode pratique, et ce à travers une analyse d'un entretien qu'a fait le quotidien avec le Moudjahid M : YACEF SADI , qui a soulevé des réactions auprès de ceux qui s'intéressent au dialogue historico - politique durant la période s'étendant de 1955 à 1957 de l'histoire de l'Algérie .

إن البحث في قضايا التاريخ الجزائري، أثناء الثورة التحريرية، يستدعي بين الحين والآخر، إعادة فتح نقاش موسع بين من صنعوا الأحداث، و من عايشوها، ومن كانوا ضحاياها، ومن كتبوا عنها، ومن وقفوا معها، أو ضدها.

فالتحليل ((الذاتي الموضوعي))¹ هو أول عتبة من أجل كتابة وقراءة تاريخ الجزائر، بكل تناقضاته، ومآسيه، وتضحياته، ومفاخره، ورموزه.

ومن أجل فهم وتحليل جزئية صغيرة في محيط تاريخ الجزائر، أثناء الثورة التحريرية، نقترح المخطط الآتي :

1. الإشكالية
2. في مفهوم السلط
3. احتكار الرأسمال - التاريخي
4. إعادة بناء الحدث
1. 4. بناء حدث الخطاب الإعلامي
2. 4. بناء حدث الخطاب التاريخي - السياسي
5. عندما تتداخل الخطابات

1. الإشكالية :

تدرس هذه المقاربة إشكاليتين أساسيتين هما :

هل كشف (المعلومة التاريخية) المتعلقة بأحداث وتاريخ الثورة الجزائرية خطر على أجيال الاستقلال؟

متى يكون تأخر ظهور (المعلومة التاريخية) خطر على من يملكها، وليس على الذي يطلبها ؟

2. في مفهوم السلط :

كلّ ما هو في الوجود إلا ويملك سلطة، وبمقدار معين، حيث تبدأ السلطة، من السلطة السياسية، فالسلطة الاقتصادية، والسلطة الاجتماعية - الثقافية، إلى السلطة الدينية، وصولاً إلى السلطة الفنية والرقمية، و... هكذا.

فالسطة سلطات، أبسطها السلطة المادية، وأعقدها السلطة الرمزية، إلى الأشدّ تعقيداً وهي سلطة امتلاك الحقيقة وإعادة توزيعها حسب قانون العرض والطلب. مثلما يحصل في المبادلات التجارية- الاقتصادية.

والصراع على السلطة له مظهرات متعددة ومتناقضة، داخل المجتمعات وهذا بحسب درجات التطور المادي- الحضاري. حيث نلاحظ مستويات نهب السلطة، من خلال تضخيم رأسمالها، وهذا عبر التراكم- السلطوي (المادي/ الرمزي)، ومن أجل الهيمنة والاستمرار لأكبر فترة ممكنة عبر التاريخ، لكن هذا الأخير، أي ((التاريخ عبثاً))²، يعلمنا دائماً، أن خطاب الهيمنة والسلطة، مدته قصيرة، وقصيرة جداً.

3. احتكار الرأسمال - التاريخي :

حتى لا تكون هذه المقاربة تجريدية، لا بدّ من الإشارة إلى أن أكبر ممارس للسلطة هي السلطة نفسها، وأكبر محتكر لتوزيع السلطة، ورأسمالها المادي والرمزي هي السلطة نفسها كذلك، عبر المساحات الرسمية وغير الرسمية، وهذا ليس شيئاً جديداً، بلّ منتشر عبر كامل دول العالم، لكن التفاوت ما بين المجتمعات هو في إشراك المجتمع المدني وقوة تأثيره كسلطة ذاتية موجهة، ومراقبة، ومنتجة للرأسمال الرمزي، وليس في تكسيه وتفثيته، إلاّ أقلّيات متناحرة. وهذا المعطى هو الذي يقع الرهان عليه بالنسبة لدرجة تقدّم وتطور المجتمعات والدول.

إن تاريخ الجزائر إبان الثورة التحريرية، مازال غير معروف بشكل تفصيلي، لأنّ جزءاً كبيراً من الأرشيف، هو محتكر عند فرنسا، وجزء آخر محتكر في الجزائر، ولا يسمح للجزائريين، ولا للباحثين الجزائريين بمعرفة المزيد، إذا قالوا :

هل من مزيد ؟

حيث يقول أحدهم : ((أود أن أقف عند سلسلة من الحقائق التاريخية التي يجهلها بكل تأكيد ياسف سعدي كباقي الجزائريين))³ فالملاحظ على القول السابق أهمية الحقائق التاريخية، وسلطتها، وانتشار نفوذها، والمساحة الكبيرة التي تحتلها، والغموض الذي يكتنفها، والجهة الموجهة إليها، والفئة المستهدفة بهذه الرسائل، والتكثيف اللغوي. وغير اللغوي، الذي تمرّ عبره.

بينما يقول آخر : ((الجزائر تتوسل إلى فرنسا لعدم منحها أرشيف الثورة، لماذا ؟ لو حصلنا على هذا الأرشيف ستقع حرب أخرى وستخلف أكثر من 100 ألف قتيل (...). بيتي كلّه أرشيف يفوق أرشيف وزارة المجاهدين كما سبق وأن قلت لك.))⁴

- لماذا نحن أمام هذه المأساة، والبؤس التاريخي ؟

4 . إعادة بناء الحدث :

أعتقد أن من بين المنهجيات التي يمكن أن تحقق بعض النتائج، هي منهجية إعادة بناء الحدث كما وقع، وعليه هناك عدّة مستويات في مسألة بناء الأحداث، حيث نميز الآتي من الخطابات :

4 . 1 بناء حدث الخطاب الإعلامي :

يتعلق الأمر بالحوار الذي أجرته جريدة الشروق اليومي مع الشخصيات التالية :

- أ . شخصية السيد العقيد و المجاهد : ياسف سعدي . (نوع المقال / حوار)
- ب . شخصية السيد وزير الداخلية السابق، ورئيس جمعية التسليح و الإصلاحات (المالغ) : دحو ولد قابلية. (نوع المقال/ رسالة بعث بها للجريدة، ردًا على الحوار السابق)
- ج . نقطة الخلاف : حول من يملك الحق للحديث في تاريخ الشهيد الرمز : العربي بن مهدي (رحمه الله)؟
- د . مدة الحوار وحيثياته : من يوم الأحد 16 مارس 2014 إلى يوم الاثنين 24 مارس 2014 م.

كيف ورد الخطاب الإعلامي في جريدة الشروق اليومي ، وما هي مراحلها ؟

سأسعى بداية إلى إعادة بناء الخطاب الإعلامي، من خلال أهم المفاصل والمقاطع التي مرّ بها، عبر جريدة الشروق، و هذا التقطيع مبني وفق استراتيجية الفواصل الزمنية، كما أتمنّاه كقارئ للجريدة :

المقطع 1 :

التاريخ : الأحد 16 مارس 2014

الصفحة الأولى للشروق : ياسف سعدي في حوار مثير للشروق :

العربي بن مهدي لم يطلق رصاصة واحدة ضد الاستعمار!

(بالبند العريض، وباللون الأحمر)

الصفحة الداخلية (ص 14) : الحلقة الأولى / تخصص كاملة للحوار .

أجرى الحوار : الصحفية وردة بوجملين .

الصور : في أعلى الصفحة من جهة اليسار صورة للمجاهد : ياسف سعدي وهو جالس على أريكة، بيتسم، ويحمل في يده جهاز التحكم عن بعد الخاص بالتلفزيون، رفقة الصحفية وردة بوجملين .

عدد الأسئلة : 17 سؤالاً .

المقطع 2 :

التاريخ : 17 مارس 2014

الصفحة الأولى للشروق : ياسف سعدي يفجر قنبلة مدوية في حوار للشروق : وريدة مداد انتحرت ولم تستشهد.

(بالبنء العريض، وباللون الأسود والأحمر، رفقة صورة صدرية للمجاهد، يرتدي قبعة).

الصفحة الداخلية (ص 17) : الجزء الثاني (هكذا جاء) وتخصص الصفحة كاملة للحوار. أجرى الحوار : الصحفية وردة بوجملين.

الصور : نفس الصورة السابقة، عدا أنّ المجاهد ياسف سعدي، ترك الكنترول جانبا. عدد الأسئلة : 23 سؤالاً.

المقطع 3 :

التاريخ : 18 مارس 2014

الصفحة الأولى للشروق : لا شيء

الصفحة الثانية للشروق : تضمنت صورة للمجاهد، وتعليق خاص بالجريدة، يبرز قلق السيد : ياسف سعدي على طبيعة الحوار، من أول حلقاته، وشكل إخراجة التي لم ترق له، وخاصة عبارة (العنوان : العربي بن مهيدى لم يطلق رصاصة واحدة ضد الاستعمار!)

الصفحة الداخلية (ص 17) : تضمنت الحوار في جزئه الثالث، مع ما يشبه رسالة بعث بها المجاهد ياسف سعدي : ينفي أنه قد تعدد الإساءة إلى الشهيد البطل المرحوم : العربي بن مهيدى ، حينما أعلن أنه : لم يطلق رصاصة واحدة في حياته. وجاء هذا المقطع تحت عنوان : لم أقصد الإساءة إلى بن مهيدى .. فهو قائدي العبقرى وقدوتي الأول.

الصور : في نفس مكان الصورة السابقة تقريبا، عدا أنه، أي، المجاهد ياسف سعدي واقف، رفقة الصحفية، وهو يعرض ما يشبه مكتبته الخاصة بالأرشيء.

أجرى الحوار : الصحفية وردة بوجملين.

عدد الأسئلة : 21 سؤالاً.

المقطع 4 :

التاريخ : الأربعاء 19 مارس 2014

الصفحة الأولى للشروق : لا شيء

الصفحة الداخلية (ص 13) : تضمنت حوارا كاملا في جزئه الرابع.

الصور : صورة للمجاهد وهو في حالة حديث، وتظهر الصورة وجود هاتف مسجل.
كذلك هناك في أسفل صفحة الحوار، مقطع إشهاري، لا علاقة له بالحوار.
أجرى الحوار : الصحفية وردة بوجملين.
عدد الأسئلة : 11 سؤالاً.

المقطع 5 :

التاريخ : الخميس 20 مارس 2014
الصفحة الأولى للشروق : لا شيء.
الصفحة الداخلية (ص 19) : تعرض حواراً كاملاً في جزئه الخامس والأخير.
الصور : صورة للمجاهد ياسف سعدي.
أجرى الحوار دائماً : الصحفية وردة بوجملين.
عدد الأسئلة : 17 سؤالاً.

المقطع 6 :

التاريخ : الأحد 23 مارس 2014
الصفحة الأولى للشروق :
رئيس (المالغ) دحو ولد قابلية يكتب للشروق : أنت لا تعرف بن مهدي يا سعدي.
نشاطك لا يعطيك الحق لإطلاق أحكام ضد قادتك.
رصاصات بن مهدي شاهدة في عمليات (قلعة الماء) بسيق و(كاسا) بوهران و(حفير) بتلمسان.
مع صورتان لكل من السيد : دحو ولد قابلية، والسيد : ياسف سعدي.
الصفحة الداخلية (ص 5) : تضمنت عرضاً مفصلاً للرسالة التي بعث بها السيد رئيس (المالغ) إلى
جريدة الشروق، حيث تصرفت فيها الصحفية من خلال عملية القراءة والتحليل، أيّ، لم تعرض الرسالة
كما وردت من صاحبها.
عرضت الرسالة : الصحفية بلعمري سميرة، في صفحة الحدث.
الصور : تم عرض صورتان للسيد : دحو ولد قابلية، وللسيد : ياسف سعدي، في صفحة الحدث.

المقطع 7 :

التاريخ : الاثنين 24 مارس 2014
الصفحة الأولى للشروق : لا شيء

الصفحة الثانية : في الأعلى، صورة للسيد المجاهد : ياسف سعدي، مع تعليق للجريدة، حيث يذكر التعليق بأن السيد ياسف سعدي، لم يشجب زيارة الطبيب الذي أمضى الوثيقة التي تزعم بأن الشهيد : العربي بن مهدي انتحر في سجنه. هذه هي أهم المفصلات، والمقاطع التي مرّ بها الخطاب الإعلامي عبر جريدة الشروق اليومي.

4.2 . بناء حدث الخطاب التاريخي . السياسي :

نقصد بحدث الخطاب التاريخي - السياسي، هو كلّ رواية تعتقد أنّها تملك جزءاً من الحقيقة حول تاريخ الجزائر، وبالتحديد فيما يتعلق بحياة تاريخ البطل، والرمز، والشهيد : العربي بن مهدي. مع العلم سيقصر عملنا - هنا - على ذكر روايتين أساسيتين، وهذا كما وردتا في جريدة الشروق اليومي، وكما أشرنا سابقاً من الفترة الممتدة : من يوم الأحد 16 مارس 2014 إلى يوم الاثنين 24 مارس 2014 م.

1. 4.2 . رواية السيد والعقيد والمجاهد : ياسف سعدي .

جاء في الحوار الذي أجرته جريدة الشروق اليومي، يوم 16 مارس 2014. وفي جزئه الأول ما يلي :
(س : وماذا عن العربي بن مهدي ؟

ج : العربي بن مهدي الذي كنا نلقبه ب(الحكيم) كان في ذلك الوقت في وهران ولم يعمل يوماً في العاصمة، والتقيته في وهران عندما ذهبت إليه لأبلغه بموعد الاجتماع الذي دعا إليه قادة الثورة لتقييم ما حققته في بدايتها. ولكنه كان عضواً في لجنة التنسيق والتنفيذ، ولم يطلق رصاصة واحدة في حياته على المستعمر))⁵.

بينما في الجزء الثاني لم نسجل شيئاً يذكر من حيث ردود الأفعال، لكن يوم 18 مارس 2014 حدث ما لم يكن في الحسبان بالنسبة لمتتبع الحوار مع المجاهد والعقيد السيد : ياسف سعدي. ماذا حدث يا ترى ؟

في الصفحة الثانية من جريدة الشروق، ليوم الثلاثاء 18 مارس 2014م جاء الآتي : ((ياسف سعدي و(الضرب العرسي)

وصلت فوبيا الغضب لدى قائد المنطقة الحرة ياسف سعدي حد السب والشتم والتهديد والوعيد من الصحفية التي حاوخته قبل أسابيع، حيث اتصل بها هاتفياً بعد نشر الحوار في الجريدة ليحتج على العنوان الذي وضع في أول حلقات الحوار (...))⁶.

للتذكير فإنّ العنوان الذي أحتج عليه المجاهد ياسف سعدي، والذي ورد في الصفحة الأولى، في أول حلقات الحوار، هو :

((العربي بن مهدي لم يطلق رصاصاً واحدة ضد الاستعمار!))

كما بعث السيد ياسف سعدي برسالة يستنكر وينفي ويؤكد أن كلامه ((فهم على وجه الخطأ))⁷. إضافة إلى أن مهمة الشهيد العربي بن مهدي، كانت ((في القيادة السياسية والتنظيمية والإعلامية))⁸. وأنّ السيد المجاهد ياسف سعدي هو من وقر له شروط الإقامة في القسبة بالعاصمة، حيث يقول : ((وأنا من وقر له وثائق شخصية، يتحرك بها في العاصمة منتحلاً صفة رجل آخر، لكن ما كنا نطلبه منه هو أن يمنحنا عقله نفكر به، بدل سواعده، فقد كان زعيماً عبقرياً بكلّ المقاييس))⁹.

2 . 4 . 2 رواية السيد وزير الداخلية السابق، ورئيس جمعية التسليح والإصلاحات (المالغ) دحو ولد قابلية.

رسالة السيد دحو ولد قابلية، لم تعرض كما بعث بها، بل تصرفت بها الصحفية، حيث يمكن أن نوجز أهم ما جاء فيها، على النحو الآتي :

((لاحظنا في المدة الأخيرة، تصريحات مدوية للسيد ياسف سعدي، الذي عهدناه رجلاً منضبطاً ومسؤولاً، و إن كان له ما يقوله، في الكفاح المسلح بالجزائر العاصمة أثناء نشاطه ما بين 1955 و1957 تاريخ توقيفه، فهذا لا يعطيه الحق في إطلاق أحكام جزافية على رفاقه وقادته (...)) شخصياً لم أستطع فهم أقاويل وتصريحات ياسف سعدي الذي يزعم فيها أن العربي بن مهدي لم يحمل يوماً السلاح و لم يطلق رصاصاً.

إن بن مهدي حجز لنفسه حيزاً كبيراً في الهجوم على حرس الغابات بمنطقة (حفير) بمرتفعات تلمسان وقاد الهجوم شخصياً رفقة حوالي 10 أشخاص آخرين من بينهم محمد بوزيدي (...)) ومن يقود هجوماً، يحمل سلاحاً، ويطلق ناراً.

والمجموعة التي كان يقودها بن مهدي حققت بعملياتها هدفين :

أحدهما يتعلق بالحصول على الأسلحة والآخر يخص الصدى الواسع الذي حققته العملية في منطقة تعد معقل المعمرين في الجزائر (...))

لماذا وكيف تخلى العربي بن مهدي عن قيادة منطقة وهران والتحق بالعاصمة ؟

والجواب وجدته عند المجاهد تحالي علال أطل الله في عمره الذي أكد لي أنّه في نهاية 55 وبداية 56 كلف عبان رمضان أحدهم بالذهاب إلى بن مهدي وتبليغه رسالة يعلمه فيها بأنه يجب البقاء بجانبه لخوض المعركة السياسية معاً كسبيل وحيد في هذه المرحلة من الكفاح لضمان التمثيل بصفة جيدة ودائمة لمسيرة الثورة وإعطائها آفاقاً جديدة في قلب السلطة الاستعمارية))¹⁰.

نكتفي بهذه المعطيات، وننتقل إلى التحليل والفحص، من خلال محاولة الإجابة على الإشكاليتين السابقتين.

5. عندما تتداخل الخطابات :

ينبغي بداية الاعتراف بأننا أمام حالة خطاب متعدد الأبعاد، فهو خطاب إعلامي وتاريخي وسياسي، فنحن أمام ظاهرة خطابية معقدة، حيث تتوفر فيها عناصر متعددة ومتداخلة، وهذا ما يصعب عملية التحليل والقراءة.

أولاً، الخطاب الإعلامي، والمتمثل في القناة التي مرّ عبرها السجال التاريخي - السياسي. أي، جريدة الشروق اليومي، حيث مارست هذه الأخيرة عملية توجيه القراء من خلال منهجية العرض، والبناء الصحفي. (وسنعود إلى هذه النقطة بنوع من التفصيل لاحقاً).

ثانياً، الخطاب التاريخي، ما يلاحظ عليه، أن هناك عدّة روايات فيما يتعلق، بحياة البطل الشهيد الرمز السيد: العربي بن مهيدي (رحمه الله).

فرواية السيد : ياسف سعدي، تحدثت عن حياة الشهيد العربي بن مهيدي، في وهران، والعاصمة.

وأنته لم يعمل يوماً في العاصمة التي كانت مقسمة إلى ((ثلاث مناطق مع اندلاع ثورة نوفمبر، منطقة من الحراش إلى أول ماي، ومنطقة ثانية من أول ماي إلى القصبة، ومنطقة ثالثة من القصبة إلى باب الوادي))¹¹. وهذا حسب رواية وتقسيم السيد ياسف سعدي. زيادة على أن الشهيد بن مهيدي.

كان عضواً في لجنة التنسيق والتنفيذ، فهو أي السيد ياسف سعدي، يعرف الشهيد من خلال شخصية القائد السياسي التنظيمي الإعلامي.

وما يفهم من شهادته، أي، السيد ياسف سعدي، وكلامه موثق - حسب الجريدة - أن الذي استقره، وأقلق مضجعه ليس شهادته التاريخية، التي أدلى بها إلى جريدة الشروق اليومي، وإنما طريقة، وكيفية، ومنهجية عرض شهادته في الصفحة الأولى من الجريدة، في اليوم الأول، أي، يوم الأحد 16 مارس 2014م. في أول حلقات الحوار، عندما كتبت الجريدة تقول :

((ياسف سعدي في حوار مثير للشروق : العربي بن مهيدي لم يطلق رصاصة واحدة ضد الاستعمار!!))¹² فهذا الإخراج هو الذي أزعجه، وجعله يقدّم ما يشبه رسالة إضافية إلى الحوار السابق، والدليل على ذلك ما هو موجود في الجزء الثالث من الحوار ليوم الثلاثاء 18 مارس 2014م من الصفحة الخاصة بالحوار، حيث نلاحظ في أسفل الصفحة الآتي :

((المجاهد ياسف سعدي : لم أقصد الإساءة إلى بن مهدي .. فهو قاندي و قدوتي الأول (...) لقد كان تحت تصرفي 5000 فدائي في العاصمة، فهل يعقل أن أترك جميع هؤلاء المسبلين، وأقبل بإقحام قاندي الأول 'سي العربي' في عمليات حربية ؟ بل لو طلب مني أن أوفر له مسدساً لهذا الغرض لم أكن لأمنحه إياه، لأن هذا الرجل الاستثنائي في ثورتنا لم يكن ميسراً لمثل هذه المهام الصغيرة، بل هو القائد الأعلى الذي يشرف ويخطط ويثمن الأعمال الثورية في الميدان السياسي والدبلوماسي والإعلامي، (...) فقد كان زعيماً عبقرياً بكل المقاييس))¹³.

ينبغي الانتباه إلى نقطة مهمة جداً، في مسألة بناء وتحليل الخطاب الإعلامي، والمراحل التي مرّ بها، فالمقطع السابق، لم يكن مبرمجاً ضمن الحوار الذي أعدته الصحفية مسبقاً. بل جاء كلاحقة تصحيحية، وهو من المضمّرات الخطابية، ومن أجل سدّ الفراغ، وتعديله بما أمكن، وإجابة على أسئلة القراء الخفية، والتي انتشرت كالهشيم في النار بمجرد، الاطلاع على الحوار في جزئه الأول، وما أثاره العنوان السابق : ((ياسف سعدي في حوار مثير للشروق : العربي بن مهدي لم يطلق رصاصة واحدة ضد الاستعمار!!)).

فمن هذه الزاوية نجحت الصحفية وردة بوجملين، ومن ورائها جريدة الشروق اليومي، في اقتطاع جزء مهم من الحوار، وعرفت عن قصد، أو دون قصد، كيف تحرك الجهاز الرسمي للحديث، عن أحداث تاريخية يجهلها الكثير من الباحثين في الحقل التاريخي. وعليه عجّلت بظهور الرواية الثانية، والتي جعلت السيد وزير الدولة السابق ورئيس جمعية التسليح والإصلاحات (المالغ) دحو ولد قابلية يكتب للشروق، فالحوار السابق، أخرجه من الثوب الرسمي، إلى حقل الكتابة التاريخية، بنوع من الإكراه - الكتابي، هكذا أسميه، وأستسمح السيد الوزير عن هذا التعبير، حيث يقول السيد دحو ولد قابلية : ((شخصياً لم أستطع فهم أقاويل وتصريحات ياسف سعدي الذي يزعم فيها أن العربي بن مهدي لم يحمل السلاح يوماً، ولم يطلق رصاصة))¹⁴.

إن القول السابق أريد أن أتجه به في منحنى آخر، وهو كيف يمكن فهم فعل الكتابة عند السيد دحو ولد قابلية، هل هي نوع من الإخبار التاريخي وكفى، أم أنّها كتابة اضطرارية على كتابة أخرى، أم شيء آخر يجهله القراء؟

ثالثاً، فيغض النظر على ما تضمنته رسالة السيد الوزير، من معلومات مهمة وجديرة بالقراءة والتحليل، لدى الباحثين في حقل التاريخ، حيث أجاب بنوع من التفصيل، وذكر نقاطاً عديدة يجهلها الكثيرون عن حياة البطل الرمز والشهيد العربي بن مهدي، والتضحيات الميدانية التي قدّمها على أرض الجزائر، وكلّها

دروساً وعبراً لمن أراد أن يعتبر، في الجوانب العسكرية وفي الجوانب السياسية والاستراتيجية والإعلامية والهيكلية للثورة الجزائرية.

لكن ثمة سؤال يتبادر إلينا ونحن ننجز هذه المقاربة.

لماذا لا تتحرك آلة الكتابة عند من صنعوا الأحداث، إلا تحت صدى الشارع، واستفزاز الإعلام؟ إن الخطاب التاريخي- السياسي ظاهرة معقدة، ومركبة ولها عدة أبعاد، ولعلّ البعد الأساسي، كما أتمثله هو :

متى نكتب؟ ولمن نكتب؟ ولماذا نتوجّس خيفة من فعل الكتابة التاريخية- السياسية خاصة؟ ولماذا ننتظر الآخر حتى نكتب؟

رابعاً، أعود مرة ثانية، إلى إشكالية تحليل الخطاب الإعلامي عبر جريدة الشروق اليومي، والتي كما قلت سابقاً، حاولت توجيه جمهور القراء، قدر المستطاع، من خلال آليات التلاعب بالصور، والأرشيف، وهذا من أجل التقليل والتجسيم من شهادة السيد المجاهد ياسف سعدي. حيث سأكتفي بذكر مقطعين من مقاطع الخطاب الإعلامي، وكيفية بنائه، وتوجيهه.

أ. يتعلق الأمر الأوّل، بما ورد يوم الثلاثاء 18 مارس 2014 في الصفحة الثانية لجريدة الشروق اليومي، والمخصصة لمراسد الشروق، حيث أفردت صورة للسيد ياسف سعدي، مع تعليق الجريدة الذي جاء فيه ما يلي :

((ياسف سعدي و"الضرب العرّاسي"

وصلت فوبيا الغضب لدى قائد المنطقة الحرة ياسف سعدي حدّ السب والشتم والتهديد والوعيد من الصحفية التي حاورته قيل أسابيع، حيث اتصل بها هاتفياً بعد نشر الحوار في الجريدة ليحتج على العنوان الذي وضع في أول حلقات الحوار، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل قام ياسف سعدي المعروف بتخوينه لرموز الثورة الجزائرية بتهديد الصحفية بالتوجه إلى القضاء، كما أمطرها بوابل من السب والشتم، مع أن الصحفية نقلت كلّ ما قاله من خلال التسجيلات التي تملكها من دون تحريف، غير أن الملاحظ أن سي ياسف سعدي قد لعب به السن فأصبح يهرف بما لا يعرف، ولم يترك مجاهداً أو رمزاً إلا ووجه له نباله .. من علي لا بوانت إلى زهرة ظريف مرورا على العربي بن مهدي فوريدة مداد .. و نسأل الله لنا و له حسن الخاتمة))¹⁵.

فالتعليق السابق مملوء بالاستدعاءات، والتلميحات والتصريحات التي تهدف في النهاية إلى توجيه القراء، قصد تجسيم مفهوم الشهادة التاريخية عند شخصية مهمة في تاريخ معركة الجزائر.

ب . أمّا المقطع الثاني، فهو يتعلق بيوم الاثنين 24 مارس 2014م، أي بعد نهاية كامل الحوار، وما آثاره من ردود أفعال، كرسالة السيد وزير الداخلية السابق، حيث نلحظ دائماً في صفحة مرصد الشروق، صورة للسيد ياسف سعدي، مع تعليق للجريدة جاء فيه ما يلي :

((هذا ما قاله ياسف سعدي للشروق قبل تسع سنوات؟))

في عام 2005 عندما انتظم في قسنطينة ملتقى دولي عن الطب الشرعي، كان من بين الحضور الطبيب الفرنسي الذي أمضى على وثيقة، زعمت بأن الشهيد العربي بن مهيدي انتحر في سجنه، فاتصلت الشروق اليومي بالسيد ياسف سعدي، ظنا منها أنه سيشرح تواجد الطبيب في عاصمة ابن باديس، وطلبت منه حقائق تاريخية، فروى لنا ما حدث بعد الاستقلال، عندما اتصل به شقيق المرحوم، وطلب منه البحث عن جثة شقيقه، وقال المجاهد ياسف سعدي للشروق اليومي، بأن البحث دام عدة أيام، إلى أن وجدا الهيكل العظمي، وفي جمجمة الشهيد رصاصة، وتم دفنه في نفس اليوم، المؤكد أن التصريحات اختلطت كثيراً على شهود الحدث في الفترة الأخيرة))¹⁶.

إن المقطعين السابقين، يعملان عمل السوابق واللاحق، في عملية بناء وتحليل الخطاب الإعلامي، فوظيفتهما هي توجيه جمهور القراء نحو، إعادة بناء وتشكيل آراء حول شخصية المجاهد ياسف سعدي، وهذا فيما أعتقد يدخل في إطار تحجيم عملية الكتابة التاريخية، أو الشهادة التاريخية التي تختلف باختلاف الشخصيات الثورية، فكلّ من موقعه وما يمكن أن يقدمه لهذا الوطن، الذي لا يمكن أن يختزل في شخص واحد، عدا أن هذا الشخص هو الشعب الجزائري برمته.

لقد بحثت هذه المقاربة في تحليل إشكاليين أساسيين، أعتقد أن الإشكالية الأولى، يمكن أن نقدم فيها بعض الأجوبة، على لسان شخصية من خارج السجل التاريخي - السياسي السابق، حيث تقول :

((إننا قد نقول أشياء تضر الأجيال الصاعدة أكثر مما تنفعهم (...)) وكما قلت سابقاً هناك أمور من الأحسن أن تبقى في طي الكتمان))¹⁷، هذا عن الإشكالية الأولى، لكن تبقى الإشكالية الثانية قيد البحث والتتقيب، وهي :

متى يكون تأخر ظهور (المعلومة التاريخية) خطر على من يملكها، وليس على الذي يطلبها ؟

المراجع :

1. نقصد بالتحليل (الذاتي . الموضوعي) ضرورة الانطلاق من الذاتي، للوصول إلى الموضوعي، وهو مرحلة من المراحل التي يقتضيها البحث العلمي، شريطة أن يقع تجاوز الذاتية، أثناء الفحص، والفرز، والتحليل، قصد الوصول إلى الموضوعي في حقل الكتابة، خاصة الكتابة ذات البعد العلمي . الموضوعي.
2. أعتقد أن هناك حصة تاريخية في قناة (القرآن الكريم الجزائرية الخامسة) بهذا العنوان : التاريخ عبرة ، للدكتور : محمد الهادي الحسني، وهي حصة جديرة بالاهتمام والمتابعة.
3. سميرة بلعمري : رئيس جمعية التسليح والإصلاحات (المالغ) دحو ولد قابلية يكتب للشروق، جريدة الشروق اليومي، ع 4324، يوم 2014/03/23م، ص5.
4. وردة بوجملين : ياسف سعدي يختتم سلسلة اعترافاته للشروق، جريدة الشروق اليومي، ع 4321، يوم 2014/03/20م، ص19.
5. وردة بوجملين : ياسف سعدي في حوار مثير للشروق، جريدة الشروق اليومي، ع 4317، يوم 16 مارس 2014م، ص14.
6. ياسف سعدي و(الضرب العراسي) : جريدة الشروق اليومي، ع 4319، يوم 18 مارس 2014م، ص2.
7. المجاهد ياسف سعدي : لم أقصد الإساءة إلى بن مهدي .. فهو قائدي العبقري وقدوتي الأول، جريدة الشروق اليومي، ع 4319، يوم 18 مارس 2014م، ص17.
8. المصدر السابق.
9. المصدر السابق.
10. سميرة بلعمري : رئيس جمعية التسليح والإصلاحات (المالغ) دحو ولد قابلية يكتب للشروق، جريدة الشروق اليومي، ع 4324، يوم 23 مارس 2014، ص5.
11. وردة بوجملين : ياسف سعدي في حوار مثير للشروق، جريدة الشروق اليومي، ع 4317، يوم 16 مارس 2014، ص14.
12. المصدر السابق.
13. المجاهد ياسف سعدي : لم أقصد الإساءة إلى بن مهدي .. فهو قائدي العبقري وقدوتي الأول، جريدة الشروق اليومي، ع 4319، يوم الثلاثاء 18 مارس 2014م، ص17.
14. سميرة بلعمري : رئيس جمعية التسليح والإصلاحات (المالغ) دحو ولد قابلية يكتب للشروق، جريدة الشروق اليومي، ع 4324، يوم 2014/03/23م، ص5.
15. مرصد الشروق : ياسف سعدي و"الضرب العرّاسي"، جريدة الشروق اليومي، ع 4319، يوم الثلاثاء 18 مارس 2014م، ص2.
16. مرصد الشروق : هذا ما قاله ياسف سعدي للشروق قبل تسع سنوات ؟ جريدة الشروق اليومي، ع 4325، يوم الاثنين 24 مارس 2014م، ص2.
17. آسيا شلابي: الوزير السابق العربي دماغ العتروس للشروق، جريدة الشروق اليومي، ع 4328، يوم الخميس 27 مارس 2014م، ص13.